أيْ صديقي وقرّة عيني لا أحسبك غافلا البتّة عن حقيقة لا مراء في صحتها ولا يشوبها شكّ حقيقة كنه العمل وفضله العظيم في حياة الفرد فمثلما تقوم على أساسٍ الجدرانُ ومثلما تقوم الشقفُ على الأركانِ ومثلما ترتفع بفضل الجدّ الأغصانُ تكمن ضرورة العمل في النّفس البشريّة كمون الحياة.

أليس العمل ملح الحياة وجوهرها بل هو ستر الوجود مادام السبيل الأوحد للإنسان ليجنيَ قوته حتّى يكون فاعلا يحمي نفسه وذويه من الخصاصة ويصون ماء وجهه أسألك ما عزّة النّفس؟ عمله وما كرامة الإنسان؟ عمله وما درعه الواقي من الذلّ عمله أيضا وإن شئت سبيلا فالبحث محال ولعلّك تجهل الحكمة القائلة " النّفس إذا أحرزت رزقها اطمأنت " وفي الطريق دروب وما أكثرها من دروب هي خطوات الحياة سطّرتها أقدامُ العاملين وشكّلتها أصابعهم المضمّخة بالدّماء بعرق الجّبين بيد أنّ الجانبَ الماديَّ ما كان البتّة أهمّ ما يميّز العمل بل إنّ الجانب المعنويّ لأعمق منه قيمة وأثرا ذلك أنّ العمل ينحت الكيان ويحقّق إنسانيّة الإنسان فيرقى به عن الحيوانيّة فلتدركْ جيّدا أنّ العمل هو الفاتحة والمنتهى إنّما خُلِقَ الإنسان ليعمل كما خلق العصفور ليطير ولنتذكرْ حكمة الخالق في تنزيه البشر وتقديس رسالتهم في هذا الكون تأمّلْ الفلاحَ ألم يجعل بجدّه واجتهاده الأرض الـــموات بساتين نضرة وجنانا يانعة؟ وتبصّر العامل ألم يحوّل المواد الأولية آلات مفيدة بحذقه ومهارته ثم ها هو المفكر يبدع وينظّم عيشنا وييسره بفضل تأمّلاته وبحوثه إلّا إن ّلعيش جهاد دائم متواصل وهؤلاء يتركون بصماتهم في كلّ شبر من الأرض ليثبتوا الإنسانيّة الحقّ وأنّ مفاتيح الأمور العزائم وما هذه الإنجازات إلاّ منبع سعادة لذّة فنِعْمَ العملُ هو معين ماء عذب زلال لا ينضب وجدول ماؤه رقراق يصبّ في بحر الحياة العظيم يسقى المرء راحة نفسية وأيّ راحة بعد نصب ورضا بعد جلد وشقاء ولتنصت إلى قلم جبران وهو يكتب "الحقّ أقول لكم إنّ الحياة تكون بالحقيقة ظلمة حالكة إنْ لم ترافقها حركة" فشتّان بين عامل مثاليّ يجعل من الكدّ ديدنه ومن الجهد دستور حياته و خامل كسول "غريب عن فصول الأرض" على حدّ تعبير جبران ولقد أصبحت معتقدا أنّ العمل مجلبة للخير ومنجم ذهب وفضّة ومنبع لكل ظمآن فتمهّل يا صديقي وأزلْ عن عينيْك غشاوة الجهل تلك ودعْ حجاب الأوهام فإكسير الحياة هو الذي أكسب الفرد قيم الحضارة وسلوك الفضيلة وسقاه اللّذة المرتجاة .

والحقّ أقول أعزّك الله إنّ الذي يسأل ما فائدة العمل؟ كالذي يسأل ما فائدة العين؟ وما فائدة الأذن؟ وما فائدة الشّعور؟ فعمّ يتساءلون؟ عن سحر البقاء وبحر العطاء .فهلاّ أصغيت لصوت الحقّ خيرِ قائدٍ لسفينة دربك وهلاّ أدركت بعين ثاقبةٍ بصيرةٍ نافذةٍ أنّك حين تعمل تتحصّن بحصن منيع ضدّ الآفات والمحن والشّرور وتعتصم بحبل متين لا ينقطع وإنْ تتالت نوائبُ الدّهر العملَ العملَ والسَعْيَ السَعْيَ إنّه خطّ الدّفاع في حياة تشعّبت طرقاتها وتعقّدت سبلها هو السلوى بل هو العزاء هو بلسم الأحزان بل هو مرهم النّسيان ألم يقل أديبنا محمود تيمور "بالعمل وحده استطعت أن أواجه الأحداث التي تتمخّض عنها الليالي والأيام " وأفقْ يا أخًا لم تنجبه أمّي

من غفلتك وسهوك وتصفّح سير العظماء أولئك الذين صيّروا الألم أملا والـمحنة منحة ولم يتعثّروا بحجارة تسدّ السّبل بل صنعوا منها سلّما لتحقيق النّجاح وأيّ نجاح تشهد بعظمته الإنسانية ! أفيعقل أن نغضّ البصر عن إنجازات بيتهوفن الذي فقد سمعه لكنّه عبقريُّ زمانِه في الموسيقى بفضل الإصرار والعمل ولك في طه حسين خير أسوة في الإرادة والتّحدي لتحقيق مطامح نبيلة ذلك الذي حاول أن يكون ظلامه مضيئا بنور العمل فاستنار قلبه بهديِ السّعيِ وأضاء الجدّ بصيرته وهكذا أنار التاريخ بمؤلفاته العطرة وفرّق قلمه الذّهبي بين الحق والباطل وإنّما أطربت سمعك بسيرة هؤلاء العظماء وضربت لك كل هذه الأمثلة لتدرك أنّ أثر العمل لا ينقطع البتة حتّى بعد الوفاة بل إنّه بل إنه يخلّد صاحبه فيخطّ اسمه في التّاريخ بأحرف من ذهب فيستمرّ حضوره بحضور الأداة التي صنّفها أو الكتاب الذي ألّفه أو الشّجرة التي غرسها ولنسأل أنفسنا هل من نعمة أجل من هذه النعمة؟ فطوبى لـمن قدّس العمل فأفلح ولا حبّذا قوم استهتروا به فأدركهم الخمول وصادفهم الفتور هبْ أنّ الإنسان ما عرف قيمة العمل فما حياته إلّا خواء بلا طعم فراغ هباء منثور وحبّذا قوم فهموا قداسته فكسبوا رضوان الله وثوابه وجزاءه ولتدرك أنّ هذا الترس الذي يقيك سهام البلاء أقدس فرض وأنبل واجب إنسانيّ بل هو عبادة فيقول محمود تيمور "ما أشبه العمل بالصّلاة فما الصلاة إلاّ تأمّل في صميم الوجود وترفع عن توافه الدنيا وصغائر العيش " فأيّ نخوة أعظم من نخوة عاملٍ ساعٍ إلى الفوز برضا الله وجنة عرضها السّماوات والأرض فلله درّ من اتّخذ لحياته شعار العمل ولظلمته سراجا ولدربه هاديا.

إذن العمل نعمة تضمن للإنسان ما لا تحصيه الألسن وما لم تخطّه الأقلام من فضائل فمن واجبنا ألا نغفل البتة عن ذلك.